

« ثمة شبح يقلق أوروبا ، إلا وهو شبح الشيوعية . وقد اتحدت ضده سائر قوى أوروبا العجوز في (تحالف مقدس) من البابا الى القيصر ومن (مترنيخ) الى (غيزو) ومن الراديكاليين الى جواسيس البوليس في المانيا » (١٠) . هذا (التحالف المقدس) الذي يتحدث عنه البيان الشيوعي ، ضم في مجموعة جملة الفصائل الرأسمالية والبرجوازية والدينية وضمنها اليهودية أيضا ، واتحد في وجه الخطر المحدق والمشارك ، الحركات الديمقراطية والاشتراكية والشيوعية .

كان اليهود يشكلون احد الاعمدة الرئيسية لهذه الحركات ، وكانت البروليتاريا اليهودية ، المضطهدة والمقهوره والعزولة ، فصيلة أساسية من فصائل التقدم والتحرر ، وهذه نتيجة منطقية وطبيعية للاضطهاد والعزلة والتمييز الذي عانت منه هذه الفئة طيلة قرون عديدة من عمرها ، وبالتالي فإن أي تجميع أو توحيد للطبقات الكادحة في تنظيمات تقدمية أو ثورية من شأنه ان يشكل تهديدا مباشرا وخطيرا لمصالح بل ووجود الطبقات الرأسمالية والبرجوازية المسيطرة .

وهكذا « اكتشفت » البرجوازية اليهودية الكبيرة مرة أخرى ضرورة « تحرير اليهود » عن طريق « تهجيرهم » ولم يكن المقصود بالطبع — مرة أخرى — تحرير اليهودي البرجوازي ، وإنما كان المقصود تهجير البروليتاري اليهودي ، وتمزيق وحدة البروليتاريا في كل مكان ممكن في أوروبا ، خوفا من انصهار هذه البروليتاريا في بوتقة النضال الطبقي ضد مستغليهم المتحددين معا في بوتقة طبقة واحدة .

« لا يمكن ان يقيم الدنيا ويقعدها ضد انصهار اليهود غير اولئك اليهود الرجعيين التافهين الضيقي الافق الذين يريدون ان يعيدوا عجلة التاريخ الى الوراء ، ان يجبروها على السر ، لا من النظام القائم في روسيا وغاليسيا (حيث العزلة والانغلاق والتخلف) باتجاه النظام القائم في باريس ونيويورك (حيث الانصهار والتقدم) بسل في الاتجاه المعاكس » (١١) .

وهكذا فإن الذين اتاموا الدنيا واتعدوها من أجل الحفاظ على انفصال « الثقافة القومية اليهودية » وعدم تفاعلها مع الثقافات القومية الاخرى ، والذين ارعبهم شبح الشيوعية في أوروبا ، فبادروا الى عقد « تحالف مقدس » بينهم ضد كل ما هو تقدمي ، واتخذوا من شعار تحرير اليهود وهجرة البروليتاريا اليهودية ستارا يخفون تحته رعبهم الحقيقي الناجم عن انتشار الافكار والدعوات الديمقراطية والاشتراكية في صفوف البروليتاريا اليهودية بنسبة مخيفة ، هؤلاء الدعاة القوميون الصهيونيون هم أنفسهم — كما يقول لينين — اعداء البروليتاريا ، انصار كل ما هو قديم وما يحمل طابع العزلة بين اليهود ، وشركاء الحاخاميين والبورجوازيين .

« ان نسبة اليهود في الحركات الديمقراطية والبروليتارية تفوق في كل مكان نسبة اليهود بين السكان بوجه عام . ولذا فإن كل من يبنئ مباشرة أو بصورة غير مباشرة شعار « الثقافة القومية » اليهودية ، إنما هو (مهما تكن نواياه حسنة) عدو البروليتاريا . ونصير ما هو قديم وما يحمل طابع العزلة بين اليهود ، إنما هو شريك الحاخاميين والبورجوازيين » (١٢) .

ان جميع الاسترة والحجب الكثيفة والزائفة التي حاولت البرجوازية القومية اليهودية ان تحيط بها دعوتها الى الحركة الصهيونية لا تستطيع ان تخفي أية من الحقائق التاريخية العلمية الثابتة ، كما لا تستطيع اية من هذه الحجج الصمود طويلا أمام المنهج المادي التاريخي لتفسير الحوادث والمنطق الديالكتيكي لمعالجتها وفهمها . وهكذا لم يكن من الصعب على لينين العبقرى ، ان يقرر منذ البدء الدعوة الى الحركة الصهيونية بأنها :